فاتحة الحرب

(تابع ما قبلهُ)

ثم دخل ولي العهد فقال لهُ الامبراطور ما رأيك يا ولدي في ما هو جارٍ الآن

ولي العهد — ليس امامنا سبيل آخر يا ابي ولا بدَّ من الحرب فان البلاد كلها راغبة فيها متشوقة اليها ولا يحسن بنا ان نصبَّ ماءً بارداً على ما نراهُ من الحماسة . اسأل من شئتَ فلا تجد الاَّ قولاً واحداً الحرب الحرب . لا اظن يا ابتِ انك تعتقد ان بوانكاري ذهب الى بطرس برج في زيارة بسيطة . ارسل الروس يستدعونهُ اليهم وما فرنسا الآن الاَّ آلة في يد روسيا والوزراء الفرنسويون تحت اوامر ايسفولسكي[1] فاذا هددهم بغضب القيصر خرُّوا لهُ الى الاذقان

الامبراطور — الفرنسويون شعب منحط

ولي العهد — نعم ويحتاجون الى حاكم مثل نبوليون

الامبراطور — وهذا شأن كل الناس يا ولدي . ولكن هب ان انكلترا انضمت اليهم

ولي العهد — هذا محال انكلترا تكتفي بالاحتجاج واحتجاجها لا يكون بشدة بل بلطف على جاري عادتها ثم تكتسب من بعدنا كل ما تحتاج اليهِ لقهر حلفائها . هذه هي الخطة التي جرت عليها سنة ١٨٧٠ وهي تستفيد دائماً من مصائب غيرها . ومتى قهرنا فرنسا وروسيا نعقد مع انكلترا محالفة بحرية على اميركا واليابان

الامبراطور — انك تجهل انكلترا ولا تعرفها كما اعرفها انا فاني افهم طباع الانكليز واشعر كأني واحد منهم واخاف من ان انكلترا تجرُّ الى هذه الحرب كرهاً لالمانيا وخوفاً منها

ولي العهد — لا اظن انها تفعل ذلك فانها مشغولة بمسألة «الصنتر» وعندنا تقارير قناصلنا ولو قرأتها يا ابي لوجدت ان نار الثورة تضطرم في ارلندا يوم تخرج الجنود منها . انكلترا مغلولة اليدين لا تستطيع ان تبدي حراكاً فقد قال لتشنوسكي[2] في تقاريره . . .

وقبل ان يتم كلامهُ عبس الامبراطور فظن ولي العهد ان اباهُ غضب لانهُ اطلع على تقارير السفير فتوقف لحظة ثم قال اسمح لي يا ابي ان اتمم كلامي ان لتشنوسكي يقول ان الناس هناك واقفون على اسلحتهم ينتظرون اشارة وان كارسون[3] ناوٍ على استعمال القوة وان

(١) سفير روسيا في باريس (٢) سفير المانيا في لندن (٣) زعيم حزب الصنتر في المانيا

الارلنديين الحقيقيين يتوقعون الساعة التي تسقط فيها انكلترا حتى يتحرروا من نيرها ولذلك يمكننا ان لا نحسب لانكلترا حساباً

الامبراطور — ألا يمكن ان تأتي الامور على ضد ما تقول وتنتظر ألا يمكن ان تجد انكلترا في هذه الحرب وسيلة التخلص من المسألة الارلندية . انا اعرف الارلنديين واعرف انهم اذا سمعوا بوقع الحرب كانوا اول من يبادر الى سلاحه . فقد يكون الانكليز اغبياء وجهلاء ولكنهم لا يجهلون مصلحتهم واذا تصدى لهم عدو اتحدوا عليه حالاً

ولي العهد — اني اعرف انكليز هذا العصر اكثر مما تعرفهم انت يا ابي لانك انت تعرف انكليز الجيل الماضي . اما انا فاعرف انكليز الجيل الحاضر الانكليز الذين يحكمون الهند مثلاً وقد عاشرتهم واصطدمت معهم وسكرت معهم وهم على غاية الظرف لا اعرف اظرف منهم . ولو خيّرت لاخترت ان يكون كل رفاقي من الانكليز فاني اشعر وانا معهم بطمأنينة لا اشعر بها وانا مع الالمان . ولا اقدر ان اساير الالمان كما اساير الانكليز لان الالمان يتعدون حدودهم حالاً فانا شخصياً اود الانكليز ولا اكرههم ولكنهم هم والارلنديين اعداء الداء بعضهم لبعض فان ارلندا للانكليز مثل الالزاس ولورين لنا . ويقول الارلنديون انهم ان لم ينالوا الاستقلال الاداري الآن فلا سبيل لهم ان ينالوه في وقت آخر . ويقول أهالي الصتر انهم ان لم ينالوا مطاليبهم الآن فلا ينالوها في وقت آخر ولكشنوسكي واثق تمام الثقة انهُ لا بدَّ من حرب اهلية في انكلترا

الامبراطور — قد يكون معقولاً ولكن هل تعلم ان الحرب بين دول اوربا الآن تقضي على المغلوب منها قضاء مبرماً واننا اذا خضنا غمار هذه الحرب اضطررنا ان نتخلى عن كل قوانين المروءة والعدل وعن كل الوعود والعهود في سبيل استئصال اعدائنا . هل فكّرت في ذلك

ولي العهد — نعم فكّرت فيهِ ورزئتهُ

الامبراطور — واذا كان الفوز لنا اخيراً فما اكثر البيوت التي تلبس الحداد وما اشد البغضة التي تنشأ لنا في صدور امم الارض ألا تعلم ان غلطة واحدة قد تضطرنا الى مداومة الحرب سنة وسنتين واكثر ومع ذلك فقد تدور الدائرة علينا اخيراً

ولي العهد — نعم لقد فكّرت ذلك كلهُ

الامبراطور — هل فكّرت في ان القوزاق قد يجتاحون بلادنا ويعيثون فيها فساداً فتدمّر مدننا وتخرب قرانا ويقتل سكانها وينهب كل ما فيها

ولي العهد — نعم فكّرت في ذلك كلهِ وتدبّرتهُ ولكن لا بدَّ لنا من الفوز يا ابي فان

الفرنسويين غير مستعدين مطلقاً وهذا امر معروف مشهور فنصل الى باريس قبلما تتم روسيا تعبئة جيوشها اما انكلترا فلا حساب لها لانها لا تدخل هذه الحرب . ومهما كان رأيك يا ابي افلا تظن انهُ يحسن بك ان تستشير في كابنك الذي سيخلفك

يصمت الامبراطور قليلاً ثم يقف ويضع يدهُ على كتف ابنهِ ويقول لهُ اعلم يا بُنيَّ انني اذا خرجت من هذه الحرب منصوراً حفظ لي التاريخ اسم رجل مخرّب سفاك للدماء كما نيلا واذا دارت الدائرة عليَّ فانك لا تملك بعدي

ولي العهد — لا يمكن ان تدور الدائرة علينا

ثم يخرج الامبراطور ويدخل بعدهُ اتنج (بكرتيرهُ الخصوصي) فيقول لهُ ولي العهد لقد تم الامر على ما نريد

اتنج — عسى ان لا يصيب اسطولنا شيء في طريقهِ

ولي العهد — الاسطول خرج من مجار بروج امس فلا يسلم من الخطر الاَّ غداً . لو كانت قيادة الاسطول الانكليزي في يدي لارسلت جانباً منهُ يرابط في مضيق سكاجراك (في الدنمرك)

اتنج — ان اغفال انكلترا عملاً طفيفاً مثل هذا يدلُّ على انها متربصة بنا شرًّا ومنتظرة جلائل الاعمال

ولي العهد — اهلاً وسهلاً بها . قال ذلك وخرج وجعل اتنج يرتب الاقلام والاوراق

المنظر الثاني من الفصل الثاني

الوقت ليلاً بعد ٣٦ ساعة مما ذكر قبلاً . يدخل ياور مكتب الامبراطور وينير المصابيح الكهربائية ثم يدخل الحر اتنج ومعهُ صندوق الرسائل ويجرّب الاقلام ويخرج من سلة الاوراق المهملة الورقة التي كان قد مزقها من الروزنامة ويلصقها بها وتاريخها ٢٨ يوليو وتظهر عليهِ امارات الاضطراب ثم يُفتح الباب ويدخل الامبراطور فيقول لاتنج اكتب تلغرافاً اكتب . ثم يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وهو يقول اللهمَّ عفوك اللهمَّ عفوك الحرب على الابواب لعنة الله على الحرب . اكتب « الى صاحب الجلالة الامبراطورية القيصر نقولا »

اتنج — لم تنسوا جلالتكم انكم امرتم ألاَّ يعمل عمل الاَّ بعد ما يجتمع المجلس الحربي غداً حينما يرجع ولي العهد واني التمس العفو من جلالتكم لاني ذكَّرتكم بأوامركم

الامبراطور — اصبت يا اتنج ولكنني عارف ما انا فاعل فقد يأتيني جواب القيصر غداً صباحاً قبل اجتماع المجلس فاوقف هذه الحرب الملعونة ولا يليق بنا ان نترك وسيلة مهما

كانت اكتب . «ولقد همني ما بلغني» الاحسن ان تكتب «لقد همني جداً ما بلغني مما ترتب على ما فعلته النمسا والمجر بالسرب . فان التهييج المفرط الذي قام في السرب منذ بضعة اسابيع ادى الى هذه الجناية الفظيعة على الارشيدوق فرنز فرديناند» . كلاّ كلاّ بل اكتب «الجناية الفظيعة وفي اغتيال الارشيدوق» . لقد كان نعم الرجل يا انج غير ما يظن به لاول وهلة لم اصدق هذا الخبر حينما سمعته . كنت اخطر في مرفأ كيل حينما بلغني الخبر فوضعت التلغراف في جيبي ونسيته الى ان حان وقت الغداء وحينئذٍ تمثلت لي الجناية بكل فظاعتها . هو وزوجته هو رجل نعم الرجل لو بقي حيّاً لكان اصدق صديق لامته ولي وهي امرأة على غاية الحشمة والظرف . لقد كان اغتيالهما من اقبح الفعال البربرية يا انج . هؤلاء السربيون اردأ الجنس السلافي كله . كل ما لهم نالوه بالقتل وكلهم قتلة ولذلك لا اعجب من ان فرنسيس يوسف ساخط عليهم وقد تحسن حالهم اذا كانت لهم حكومة شديدة ولقد اغتالوا ملكهم قبلاً على اسلوب تقشعر منه الابدان ولا بد من الاشارة الى ذلك اكتب . «ان النعرة التي جعلت السربيين يقتلون ملكهم وملكتهم لا تزال في البلاد» هذا الكلام يؤثر في نقولا . من قال ان الدستور الروسي استبداد يضعفه الاغتيال ولقد اثبت السربيون ذلك مهما كان نوع الحكومة وقد يقتلون نقولا ولو انه منهم بمجلس الدوما اكتب . «لا شك انك توافقني اننا نحن كلنا . . . » مرادي الملوك كلهم لان لنا مصلحة مشتركة تقضي علينا بان نعاقب كل الذين لم يد في هذه الخيانة الفظيعة العقاب الذي يستحقونه

الاحسن ان اذكر شيئاً عن اميال السلاف الى السرب اكتب «ومن الجهة الاخرى لا استخف» كلاّ بل قل «لا اغضي» كلاّ كلاّ لا استخف الفضل «المصاعب التي تلاقونها في مقاومة الاميال» كلاّ بل قل في مقاومة التيار وهذه لا تصلح . ضع هنا الكلمة المناسبة «نحو العاطفة الجنسية» وهذه ايضاً لا تصلح قل «في مقاومة الرأي العام» ولا اظن ان في روسيا رأياً عاماً ولكن في ذلك شيئاً من التملق لسازنوف[1] ولا بدّ من الاشارة الى صداقتنا فقل «ونظراً الى الصداقة القديمة القلبية التي بيننا فاني ساتوسّل بكل ما لي من النفوذ لاقنع فرنسيس جوزف» . كلاّ هذا لا يناسب قبح الله ذلك الحمار تسرنا[2] فانه هو سبب كل هذه المشاكل فقل «في اقناع حكومة النمسا والمجر حتى تتفاهم مع روسيا تفاهماً يرضيها» ويرضيني انا ايضاً هذا يكفي كلاّ كلاّ قف زد على ذلك «واني ارجو واثق انك تعضدني في مساعيّ

(١) وزير الخارجية الروسية

(٢) رئيس وزارة المجر

للتغلب على كل المصاعب التي يمكن ان تنتج . صديقك وحليفك المخلص الامين » واكتب التوقيع « ولي[1] »

اكتب هذا التلغراف وارسلهُ باسرع ما يمكن والآن الساعة نصف بعد العاشرة فيقرأهُ الليلة و يأتينا جوابهُ غداً صباحاً . قم عاجلاً

يخرج اتنج من الغرفة و ينادي الامبراطور قائلاً اتنج اتنج فيعود فيقول لهُ ارسلهُ بالحروف العادية لا بالشفرة وليقل الناس معها قالوا

الفصل الثالث

في ٣١ يوليو

في برلين في مكتب الامبراطور وهو مثل مكتبهِ في برتسدام

ياور اول — قضي الامر وصار الرجوع مستحيلاً وسنذهب الى باريس هذه النوبة حالاً

ياور ثانٍ — الفضل لوليم الصغير فانهُ هو الذي مشّى اباهُ فقد كان العجوز[2] عاقداً نيتهُ على حفظ السلم ولكن الجدع[3] والحسين[4] وابو سيقان[5] اقنعوهُ وظني ان الاثنين والاربعين[6] كان حجتهم الكبرى

الياور الاول — انا اجهل الامور المدنية ولكن هل هذا المدفع هو غنز او كروب

الياور الثاني — من الاثنين ولكن الامر سرٌّ غامض فلا تذكر كلمة لاحد في هذا الموضوع فان المانيا مملوءة بجواسيس الانكليز . ومعظم اولاد الجدع منهم وكل المعلمات في البيوت منهم والحكومة الانكليزية تدفع اليهم الرواتب ولذلك يخدموننا باجرة طفيفة وهنَّ مثل نساء الروس يضعنَ اصبعهنَّ في كل شيء وكلهنَّ من الجواسيس بالطبع اما نساؤنا فلا يصلحنَ الاَّ للشغل والكسب

الياور الاول — اخرس

الياور الثاني — نعم نعم والمسألة دقيقة ساعني نعم المسألة مهمة جدًّا

يدخل اتنج و يضع صندوق المراسلات على المكتب و يجرب الاقلام و يقول للياور لا داعي للانتظار لان جلالتهُ آخذ الآن في اعداد خطبتهِ (يقول ذلك بصوت فيهِ شيء من التهكم) وسينطق بها من شرفة القصر بعد بضع دقائق

---

(١) اختصار لاسم ولي يستعمل بين اهل البيت الواحد للتحبب (٢) Der Alte كناية عن الامبراطور (٣) Der Kline كناية عن ولي العهد (٤) كناية عن ملكي رئيس اركان الحرب (٥) كناية عن الاميرال تربتز (٦) كناية عن المدفع الذي قطرهُ ٤٢ سنتيمترًا

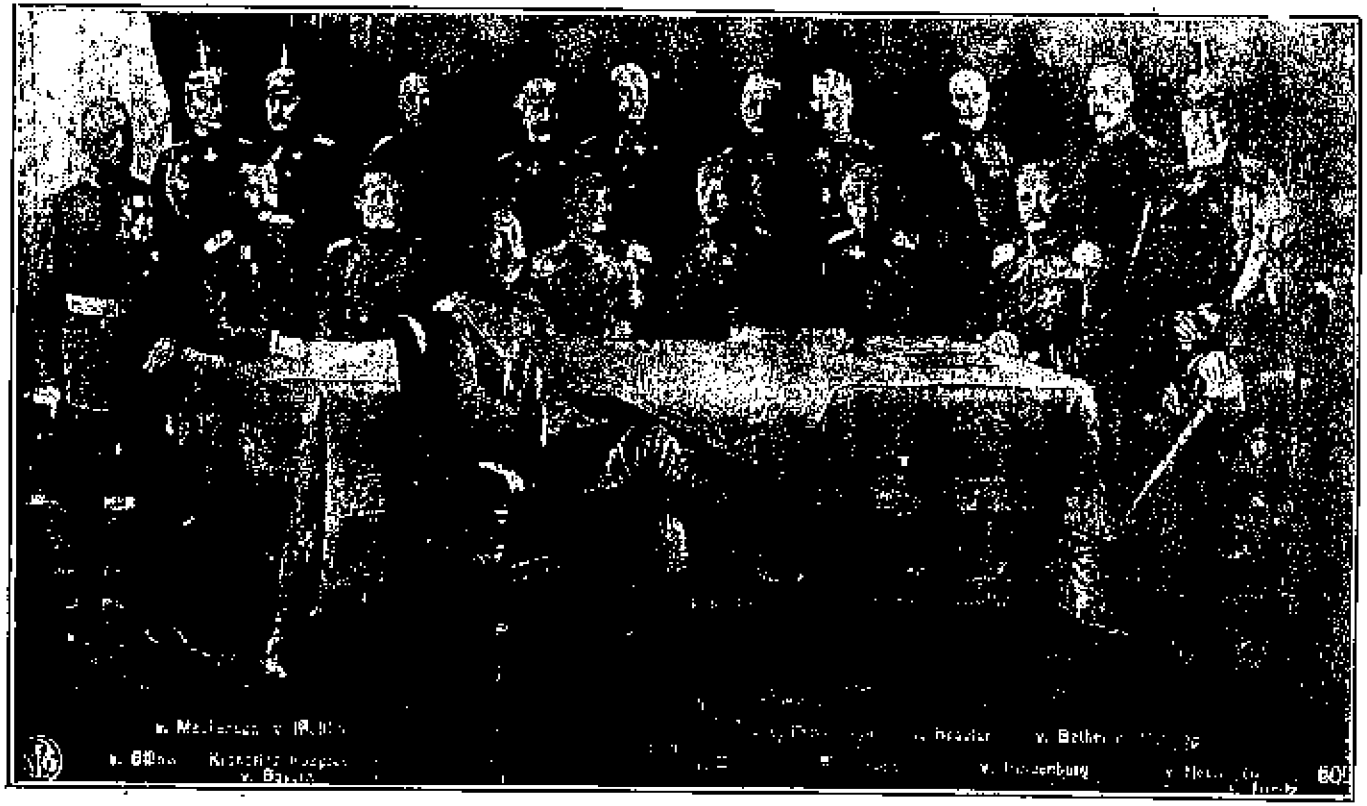

امبراطور المانيا واركان دولته الذين زجّوا اوربا في هذه الحرب

مقتطف اكتوبر ١٩١٥
امام الصفحة ٣٣٦

فيخرج الياور ويفتح الباب الشباك واذا اصوات جماهير كثيرة خارج القصر ثم يدخل الامبراطور و يقول متهللاً الحمد لله يا الباب هذه اسعد ساعة في حياتي فاني اسمع صوت شعبي كموج البحر صوت المحبة للامبراطور هو صوت الشعب صوت الله Vox populi vox Dei ما اصح هذا القول ثم تدخل الامبراطورة و يعانقان هي والامبراطور ويقول لهُ « لا نقدر ان نتصور مقدار حماسة الشعب فان الساحات ملأى بهم والشوارع ملأى وكلهم حاضرون (كاشفون رؤوسهم) كأنهم في بيت الله

ثم يسمع صوت جرس التلفون فيأخذ الباب السماعة و يضعها على اذنهِ و يقول لا حول ولا قوة

الامبراطور — ما الخبر

الباب — هوذا السماعة يا مولاي

الامبراطور — هي — منذ ساعتين — اين انت الآن — تعالى حالاً . ثم يضع السماعة و يشير الى الباب فيخرج

الامبراطورة — ماذا قال

الامبراطور — ساخبرك بعد قليل . حفظتُ خطبتي وهي مختصرة جداً اسمعي . « وحانت الساعة قام الحسّاد علينا من كل ناحية يضطروننا للدفاع عن انفسنا . وضع السيف في يدنا رغماً عنا ولا نزال نبذل المساعي لحل خصومنا على التعقل وحفظ السلم فاذا لم تفلح سعي ذلك فلا نغمد هذا السيف باذن الله الاَّ مشرّفاً . الحرب تكلفنا الكثير من الرجال والاموال ولكننا سنغري اعداءنا ما هو معنى التهجم على المانيا

« والآن استودعكم الله اذهبوا الى كنائسكم واركعوا امام العزّة الالهية واطلبوا منها الغوث والنصر لجيشكم المظفر »

الامبراطورة — احسنت يا وليم احسنت

ثم يخرج الامبراطور والامبراطورة ويخاطب الامبراطور في الجمع ويسمع صوتهُ من وقت الى آخر وهتاف الشعب لهُ . وبعد قليل يدخل وزير الامبراطورية بتمن هلفج و يدخل الامبراطور ايضاً وهو ممتقع فيصافحهُ و يقول له فات الوقت وقضي الامر

الوزير — كلاَّ يا مولاي

الامبراطور — فات الوقت يا بتمن فانهُ لا حق لنا ان نسلّم الاَّ برضاي فات الوقت الآن فات الوقت . لدن الله تلك الساعة لم يبقَ في يدنا شيء . حقكم ان تكونوا في

البارستان كلكم . ولقد خدعني نقولا وتشرسكي[1] ورفاقهُ خدعوني كلهم وبرشتولد[2] حمار . مضى وقت التكلم في الصلح الآن يا بتمن ألا ترى هذه الجموع المحتشدة اتظن اننا نستطيع ان نحجم بعد ان اقدمنا وتحدَّينا الدول كلها . يعلم الله اني بذلت جهدي في منع الحرب ولو قدرت بما يجب عليَّ نحو بلادي والعالم لقتلت كل واحد من هؤلاء الحمقى اما الآن فقد فات الوقت وقضي الامر

ثم جلس ووضع كفهُ على عينيهِ وقال

كان السلم غرضي يا بتمن اما الآن فصار غرضي الحرب فقد طفح السرور على قلبي لما سمعت اصوات الهتاف تتصاعد وعلمت ان شعبي كلهُ يؤيدني . هذا صوت الشعب صوت الامة الالمانية رئيسها وزعيمها . فقضي الامر يا بتمن هذه مشيئة الله وهو يتكلم بلسان شعبهِ ولا بدَّ لي من الطاعة فكأني اسمع الحق سبحانهُ يقول اني قدَّرت للامة الالمانية ان تسود المسكونة وجنودها هم جنود شعب الله المختار ولا بدَّ لهم من ان يقهروا خصومهم ويضعوا المانيا في المقام الاول الذي تستحقهُ بين الامم . والآن يا بتمن امرت وآمرُ باعلان الحرب . اعطِ هؤلاء الروس الكلاب فرصة اثنتي عشرة ساعة ليصرفوا جيوشهم ولا بدَّ لهم من خطة من اثنتين اما صرف جيوشهم واما الحرب . واستدعِ بورتالس[3] ولا تضيع دقيقة واجمع المجلس واخبر توبتز وملكي وناد بالنفير العام . اللهمَّ عفوك لماذا ترددتُ في الامر وانت الآمر بهذا . اني اشعر بصداع شديد يا بتمن ولا بدَّ لي من الخروج

ثم خرج ودخل بعدهُ بلين والاستاذ وقال بلين ان جلالتهُ استدعانا والظاهر انهُ نسي

الوزير — لم اره قط مضطرباً كما هو مضطرب الآن وقد اعلن الحرب

بلين — اللهمَّ نجنا برحمتك انجارب فرنسا وانكلترا وروسيا ومن المحتمل ان نضطر لمحاربة ايطاليا واليابان ايضاً هذا هو الجنون المطبق بعينهِ

الوزير — اخشى ان يكون الامر كما قلت

بلين — ألا يمكن تلافي الخطر

الوزير — جلالتهُ لا يصغي الى احد وقد اتيت لاخبرهُ عن انكلترا فلم يرد ان يسمع

الاستاذ — لا يعقل ان انكلترا تنضم الى اعدائنا

الوزير — ستنضم اليهم حتماً

---

(١) سفير النمسا في برلين (٢) وزير خارجية النمسا والمجر (٣) سفير المانيا في روسيا

الاستاذ — انكلترا لا تفعل الاَّ ما فيهِ مصلحة لها فلا تحاربنا الاَّ اذا فعلنا شيئاً يضر بسيادتها البحرية او الاستعمارية ومن اكبر الخطإ ان نمسَّ البلجيك لان لاستقلال البلجيك علاقة لا تنفك بسياسة انكلترا ومصالحها

الوزير — ولكن وصولنا الى فرنسا متعذر الاَّ من طريق البلجيك

الاستاذ — اذن يجب ان نعدَّ انكلترا بين الذين يحاربوننا

بلين — هذا هو الانتحار بعينهِ

الوزير — ولكن قضي الامر كما قال جلالتهُ

الاستاذ — ومَن يعلم متى تكون النهاية

وخرج الوزير حينئذٍ والتفت بلين الى الاستاذ وقال لهُ هذا هو الجنون يا استاذ

الاستاذ — يا حبيبي انا وانت نعرف ذلك ولكننا لا نستطيع ان نصلح العالم ولا الملوك والزعماء قادرون ان يديروا حركتهُ وكما تكونوا يولى عليكم

بلين — ولكن قواد الجيش ما ضربتهم

الاستاذ — لعلهم ليسوا اعقل من غيرهم !

بلين — اراه عليكَ يا المانيا مضى يوم النعيم وجاء يوم البؤس وقد لا نرى النعيم مرة اخرى بعدما تغلَّب الجنون على العقل

الاستاذ — ولكن الجنون فنون ومنهُ نوع يختلب الالباب

بلين — لعلهُ الصرع

الاستاذ — نعم الصرع منها واظن ان تشه كان من المصابين بهِ

بلين — لقد كان من المتحمسين المتطرفين المشهورين

الاستاذ — وهذا التحمس يستغوي العقول ويستهويها ولقد كان ذووهُ يُبَدون في الزمن السالف

بلين — ومنهُ ما حدث عصر هذا النهار

الاستاذ — نعم هو منهُ

بلين — (يقدم سيكاراً الى الاستاذ ويقول) واحسرتاهُ هذا السيكار ثمَّا جابتهُ جلالتهِ آخر مرة من اميركا وقد لا استطيع جلب غيرهِ قبل زمن طويل انتهى